

<https://www.alhurra.com/a/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%82%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9/515129.html>

٥١٥١٢٩/<https://www.alhurra.com/a/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%82%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9/515129.html>

حسين عبد الحسين:

جدد بعض اللبنانيين خطاباً شوفينياً (!) حول هويتهم التي يتتصورونها فينيقية بحنة، وأثاروا بذلك سخط اللبنانيين آخرين لا يرون في هذه الهوية إلا برنامج سياسي عنصري بدأ مع قيام دولة لبنان قبل قرن (لأن منذ قرن أيضاً بدأ برنامج سياسي عنصري آخر وهو العروبة بعد آل ١٣٠٠ عام من "الإسلام دين ودنيا"، وبمشاركة مسيحيين مذليين محاولين سحب المسلمين من دنیاهم الإسلامية نحو العلمنة)، وكان يهدف إلى فصله عن العروبة وإلصاق العروبة بال المسلمين (آخر عرب مسيحيين كانوا الغساسنة الذين انتقوا منذ ١٢٠٠ عام، والإسلام جعل من العربية لغة متزلة ولغة الله وأهل الجنة وأن كل من يتكلّمها فهو عربي، والعروبة جعلت من جميع اللهجات المحكية من الخليج إلى المحيط لهجات من اللغة العربية ما لا يصح سوى للهجات قبائل البدية والخليج (وليس اليمنية وربما ليس الحجازية حتى)، ذلك وفق معاهد اللغات في العالم؛ أما لبنان فهو مصطلح جغرافي، وتبني تسميته مسيحو جبل لبنان للتمايز عن المحيط الإسلامي إبان الفتح مع يوحنا مارون و"كنيسة لبنان الحرة" وفق الأرشيفات العالمية، وبالتالي ليس كل شعبه ضرورةً عربي؛ وإذا تم إلصاق العروبة بالمسيحيين والدولة، أيصبح جرماً فعلها عنهم؟ وطالما ليس كل الشعب العربي، فلا تستطيع أن تكون الدولة عربية رغم أنها تستطيع أن تتشارك والدول العربية الأخرى أموراً عديدة: فلبنان عضو في منظمة الدول الإسلامية والفرنكوفونية، لكن هل الشعب كله مسلم أو فرنسي؟، ودعوة اللبنانيين، من المسيحيين والمسلمين، إلى العودة إلى الجذور، والتمايز عن المحيط العربي والإسلامي (نعم هنا الخطأ بدعوة المسلمين إلى الانفصال عن محيطهم وكأن جذورهم ودنياهم هي اللبنانيّة الفينيقية الكنعانية بينما دنیاهم هي إسلامية مع ما يعتبر ثقافة عربية وراجع ميشال عفلق مؤسس البعض وكمال جنبلاط حول التصاق العروبة بالإسلام).

وريث فينيقيو القرن الماضي أنفسهم بالمعسكر الديمقراطي الرأسمالي (لم يكن بديلاً لهم إلا العالم الغربي بما هو عليه وبعله، لمواجهة العروبة)، ضد العروبة الشمولية الاشتراكية (العروبة كانت قد باتت الاسم الآخر لدنيا الإسلام، وما دخلهما بالاشتراكية؟ ولماذا اختار المسلمون الاشتراكية العلمانية لا بل الشيوعية الملحدة؟ إذن لا تلوموا الفينيقين)، وأصرّوا على اعتبار هويتهم أوروبية (لا يقولون أنهم أوروبيون بل إنهم يتشاركون العمق الوجاهي والدنيا نفسها، لأن الفينيقين والسريان والأشوريين والكلدان والأقباط والأرمن (ولا نضيف "بعض العرب"، فنلاحظ انتفاء وجود عرباً اليوم، بمعنى عرب الجزيرة والبادية، خارج الإسلام) كانوا جزءاً لا يتجزأ مما يعتبر العالم المسيحي اليوم والذي كان العالم الفارسي - المشرقي - الإغريقي - اللاتيني قبل الفتح الإسلامي، حيث غير الفتح الإسلامي وجه المشرق وأفريقيا الشمالية بسرعة قياسية حيث باتوا جميعهم أقلية غير فاعلة، سوى الفينيقين في لبنان الذين كانوا قد أصبحوا دينياً مسيحيين ومذهبياً موارنة وتحصنوا في الجبل وتمكنوا من الصمود كونهم متراصين جغرافياً حتى أخذوا امتيازاتهم ولاحقاً تمكنوا من تأسيس لبنان الدولة بحدوده الحالية حيث لهم تأثير سياسي عليه، وبهذا هم المكون الوحيد الفاعل سياسياً من الخليج إلى المحيط مما تبقى من المشرق الذي كان مرتبطاً بأوروبا)، أو على الأقل متوضطية، لتصورهم أن الفينيقين تماهوا مع الإغريق والرومان إلى أن اجتاح العرب والمسلمون المشرق، بما فيه فينيقيا، واحتلوه وعزّبوه وأسلموا غالبية سكانه، وهو احتلال دأب الفينيقين على "مقاومته" (عذرًا إنما هذه قمة

الوقاحة، وإن ربما غير مقصودة بسبب غسل الأدمغة الحاصل، فهل التاريخ جاء بعكس هذا؟ كيف يكون فتح وتكون أسلامة بالاقتاع؟)، وذلك بإعادة إحياء الفينيقية وتاريخها وأبجديتها ولغتها وحدودها (إذا استثنينا الحدود، ما الخطأ؟ هل بحسب أن يتقاعسوا في استعادة تسمية هويتهم التي يعيشونها والتي تفسر عدم انصهارهم بالعروبة ما أودى إلى تصدام مستمر مع المسلمين؟).

الفنينقيون، لم يتسموا بهذا الاسم بل وصفوا أنفسهم بالكتناعيين أو الصيدونيين أو القرطاجيين. (جميعهم كتّناعيون، "فينيق" هي تسمية يونانية، العبرانيون وربما الآراميون وشعوب غور الأردن (أموريون، وأحفادهم الإيلوميون، العمونيون والمؤبيون) خرّجوا من فلak الكنعانية وأسسوا ثقافتهم الخاصة خارج الحضارة الكنعانية التي انحصر نطاقها في لبنان (وطرطوس) بعد أن كان من أوغاريت (قرب اللاذقية) إلى غزة مروراً بحمص والبقاع وأورشليم (باللغة الكنعانية) (القدس باللغة العربية). القرطاجيون هم أحفاد الصوريين (هم أسسواها). تسمية صيدوني صوري كانت تأتي فترة بزوع إحدى المدينتين). نعم من يقول أنه فينيقي مخطئ وعليه القول أنه كنעני. هذا أيضًا نتيجة طمس المعطيات).

وفي العقود الماضية، راح بعض الأكاديميين يبحثون عن جينات الفينيقيين لفصلها عن جينات المحيط العربي (لأن أتحف الأوروبيين الكنعانيين بأن الأخيرين جاؤوا من الجزيرة (ساعةً) بحجة هيرودوتس وطوراً بحجة أخرى) وإنذن بأنهم عرب وبالتالي بأنه يجب أن تكون هوبيتهم عربية رغم أن حين انتلاق الكنعانيين لم تكن العروبة قد وجدت بعد!)، وراح بعضهم الآخر يشير إلى تماثيل أباطرة رومان من جذور سورية (صحيح أن إيلا غالباً بلوس من حمص والكسندر سيفريوس من عرقاً في عكار وسبتيميوس سيفريوس كنעני قرطاجي وهم من فرد عائلة إذا احتسبنا القربي عبر الزواج)، ويقول إن "ملامح وجوه" هؤلاء الأباطرة تظهر لهم أوروبيين متوضطين لا عرب (على الهاشم، أحد المشاكل يمكن في تحديد من هم العرب: بالعلم، العرب هم سكان الbadia في الجزيرة (دونما الحجاز والمدين) وبادية الشام؛ أما الحجازيون بالتحديد، فهم علمياً ليسوا عرباً ومن يعرف الاستباط الإسلامي فيما خص العدنانيين يعرف أن الحجاز كان بمعظمها قبائل عدنانية أي أنها لم تكن عربية في الأصل و"اعتبرت مستعمرة"، وهذا صحيح، فالحجازيين كانوا من ٣ شعوب: القيداريين، والدادانيين والثمدانيين، وهو غير اعراب في قلب الbadia، مهما قال المراجع العربية؛ أما المدين فلم يكن عرباً أيضاً لكن اعتبر بفعل الاستباط هذا معقل القحطانيين اي العرب الأصيلين، لكنه كان مؤلف من ٥ شعوب: الحميريين والحضرميين والسيئين والمعينيين والقتبانيين؛ المهم أن تحديد الهويات لا يجب أن يحصل عبر المظاهر والجينات لكن الأكاديميين كانوا يبحثون عن آلية وسيلة ليفسروا عدم عروبيتهم بالمعنى المعتمد حالياً للعروبة).

وفي الآونة الأخيرة، ظهرت في لبنان حركات سياسية تسمى نفسها فينيقية، ولكنها عذلت فينيقتها لتناسب مع تحالف قادة لبنان مع نظامي سوريا وإيران، فلم تعد فينيقياً لبنان فحسب، بل صارت تشمل محافظات الاذفية وحمص السوريتين، وعكا وصفد في فلسطين، إسرائيل اليوم، لترتفع مساحة لبنان من 10452 كيلومتر مربع حالياً إلى ١٨٨٠٠ بالإضافة المناطق "المسلوحة"، وهي مناطق إما يسيطر عليها نظامي سوريا وإيران، أو تسعى مليشيات لبنانية موالية لإيران لاستعادتها من إسرائيل. (هذه كانت بلاد كنعان، ولبنان التاريخي الذي هو تقريباً لبنان اليوم، كان جزء منها، انحر الكعنانيون لاحقاً ضمن لبنان التاريخي منذ ١١٩٠ ق.م. (مع طرطوس / أرواد)، وضمن جبل لبنان منذ الفتح الإسلامي (باستثناء الروم الذين باتوا ذميين خارجه). جزء من الكعنانيين أسلم وخرج من فلك الكعنانية المشرقية إلى دنيا الإسلام وعروبتها. إنما عند استعادة الكعنانيين (المسيحيين اليوم) للبنان "الكبير"، ضموا سكان من غير ثقافة ودنيا (الأغلبية المسلمة في الشمال والبقاع والجنوب والساحل) في دولة مركزية فحصلت الحروب؛ لو اتحد المكونان في دولة فدرالية لقادينا الصدام؛ وهكذا، إذا ضم المسيحيون اليوم تلك الأرضي في سوريا وفلسطين لاستعادة بلاد كنعان، فسيزيدون الطين بلة عليهم (إلا إذا كان هذا ضمن اتحاد فدرالي)، ونقول هذا بغض النظر عن موضوع الصهاينة ومشكلتهم؛ أما عن تحالف الحركات التي تسمى نفسها "فينيقية" مع المحاور، فلا أعرف من هي أصلاً ولا أدفع عنها).

وتعطي هذه الحركات الخيار للمناطق "المسلوحة": إما أن تنضم إلى لبنان، أو تبقى خارجه، وتعد بتشييد حائط يكرّس نهاية الوطن الأم، ويضم أي مناطق مسلوحة تقرر العودة. أما تشيد الجدار، فهدفه إبقاء "المخربيين" الفلسطينيين والسوريين، ومن لجأوا إلى لبنان خارجه. وهذه مفارقة ظريفة، إذ لا يلاحظ فينيقيو لبنان أن اللاجئين الفلسطينيين والسوريين في لبنان نزحوا فعلياً إما من مناطق الجليل، أو من مناطق سورية محاذية للبنان، وهذه المناطق يفترض أنها فينيقية "مسلوحة" عن لبنان. (لقد أجبنا على ذلك أعلاه ونعم، هذا الفكر كله "غلط"، وخاصةً أن معظم السوريين والفلسطينيين مسلمون وفيينقيين مسيحيون).

ولو وضعنا جانباً "الولدانات" حول إعادة إحياء فينيقيا (إذن هي ولدنة أن نعيد إحياء دولة الخلافة الإسلامية من المحيط إلى فارس، أم إعادة الأندلس، وبهذا يسقط جوهر الإسلام بسقوط أساس العقيدة!)، الصغرى أو الكبرى، جينياً أو حدودياً، ونظرنا إلى التاريخ الفينيقي بشكل أكثر حيادية وأقل عنصرية، لبدأ لنا أن أبرز مشكلة في التاريخ الفينيقي هو شحه (طبعاً الشح بيدهي عندما نطمس الحقائق ولا نعلمها في المدارس)؛ فبقايا اللغة نادرة ومبعثرة (في معاهد اللغات العالمية، اللهجة اللبنانيّة هي من اللغة الكنعانية (السمات خطأ بالأرامية)؛ من الناحية العلمية تطعمت الكنعانية - اللبنانيّة بالسريانية والعربية ولغات أخرى منذ العام ٤٠٠ م.، كما أنها طعمت هي السريانية بقوّة قبل ذلك؛ وبسباقاً، لم تطعم الكنعانية العربية على مدى ١٥٠٠ عام فحسب بل العربية انبثقت من الكنعانية القديمة (إلا في الفقه الإسلامي حيث تعتبر منزلة)، كما العربية. من ناحية اللغة الفصحي والأبجدية الكنعانيّتين المسمتين "آرامية" التي مثلاً كتب متى انجبله بواسطتهم، فأطاحت بهما السريانية لأنها اعتبرت لغة المسيح، ولاحقاً أطاحت العربية بالسريانية بالضغط الإسلامي المحيط؛ نعم إن أي مسعى لإعادة استعمال الأبجدية الكنعانية يحتاج لإعادة هيكلة عصرية لكن هذا ليس صعباً كثيراً (لم يغير المسلمين الفرس الأبجدية إلى العربية، والأتراء إلى الأجنبيّة؟؛ أما اللغة الكنعانية فنحن نتكلّمها كما أشرنا، وهي الـ"دارج")، ولم تصلنا أعمال كتاب فينيقيين بشكل مباشر (لأنهم كتبوا على "مواد" يتلفها الزمن، إنما كل ما هو اسمه لغة وحرف آرامي - أميريالي اليوم هو كتعاني - فينيقي في الحقيقة، وفق المعاهد العلمية، وهذه الحقيقة ظهرت حديثاً حوالي عام ٢٠٠٢، والنقوش وفيرة) (طبعاً دون أن يشمل هذا ما هو سرياني)، بل غالباً في اقتباسات يونانية، أو في انتقادات عبرانية. ثم أن الفينيقيين لم يكونوا أوروبيين (صح)، بل هم كانوا أعداء أوروبا (الأروبيون كانوا أعداء أنفسهم أيضاً وأحياناً تعادي الفينيقيون فيما بينهم)، وخاضوا معارك ضارية ضد الإغريق، وبعدهم الرومان (ممكناً استبدال "أوروبا" بـ"عرب" في هذه الجملة وتنبّقى الجملة صحيحة).

والفينيقيون، الذين لم يتسموا بهذا الاسم حسب الدلائل المتوفرة بل وصفوا أنفسهم بالكنعانيين أو الصيدونيين أو الصوريين أو القرطاجيين (شرحنا هذا أعلاه)، ظهروا على مسرح التاريخ قبل ١٢٠٠ عاماً من الميلاد (في هذا التاريخ بدأت تسمية الكنعانيين بـ"فينيقيين" من قبل اليونانيين نسبة للون الصباغ الأرجواني، لكنهم كحضارة ظهروا نحو عام ٣٥٠٠ ق.م.)، واندثر آخر وجود لهم، وهو البيوني المتاثر برومما ("بيوني، أو بوني"، هي تحريف روماني لفينيقي)؛ Punic Phoenician، الجنز P/Ph-n-c، Punic، بعد ٢٠٠ سنة من الميلاد (هذا وفق المدرسة القديمة في التاريخ، وتتالت التسميات الخطأة بحقهم، فسمى اليهود اللغة الكنعانية بـ"آرامية" "فياتوا آراميين"، وسمّاه اليونانيون "سريان" صوب ٤٠٠ ميلادي "فياتوا سريان" (ولن ندخل في موضوع السريان منذ ٥٠٠ ق.م.).، وفرض الإسلام مواجهة دينية فياتوا "المسيحيين" وتحديداً "الموارنة" لمعظمهم في الجبل واحتلّت الأمور)، أي أن حضارة هؤلاء الكنعانيين امتدت حوالي ١٤ قرناً، وهو ما يعادل عمر الحضارة الإسلامية اليوم (منذ الفتح الإسلامي توقف الكنعانيون عن أية مساهمة فعالة بالحضارات بسبب محاصرتهم في الجبال مدة ١٣٠٠ عاماً؛ وعادوا إلى ذلك منذ الهجرات "اللبنانية" المسيحية بأكثريتها الساحقة إلى العالم الجديد منذ أواخر الـ ١٨٠٠ وبزوع "الإبداع اللبناني"؛ اتركوا لهم المجال فقط). وهو ما يعني أنه يستحيل حصر أهلية ونصف من الزمن في شكل ثقافي أو لغوي أو تاريخي واحد (ليش الإنكليزي، والمسلم - العربي ابن الدولة الإسلامية والتاريخ والثقافة الإسلاميين والمفترض باللغة العربية هم غير أسلافهم، مش من ١٥٠٠ عام؟ إذا هيك يعني المسلم العربي بطل مسلم - عربي! طبعاً الثقافة واللغة تتتطوران، لكن جوهرهما ومخزون الشعب التاريخي يتراكم ضمن إطار معين يميّزه عن غيره)، فعربيّة اليوم مثلاً تختلف جذرياً عن عربية القرآن وقربيش (هل نحن بجو "تتكيف"؟ العربية الفصحي هي عربية القرآن كما هو مكتوب اليوم، فالفصحي هي هي منذ ١٤٠٠ عام بسبب عدم جواز تعديلها كونها لغة "منزلة في الإسلام"! طبعاً نعلم أن القرآن كتب في البداية بحروف عربية دون نقاط ودون تحريك لكن هذا موضوع آخر هامشي نسبيًّا للفكرة هنا)،

وعربية المشرق تختلف عن عربية المغرب (شرحنا الفرق في اللهجات واعتبارها عربية خطأ)، وهكذا، لا بد من اعتبار أن الفينيقية تغيرت مع الزمن (صح)، وتتنوعت في صيغها المحكية (كمان صح) بحسب انتشار من تكلمها أكثر، بسبب التفاعل البشري مع محيطهم المتقلب) (تكلّم غير الفينيقين الفينيقية، وتحدر البعض في المتوسط من نسب فينيقى اختلط مع المحليين هنا وهناك لا يجعل تلك البلاد فينيقية؛ تمتد فينيقيا جغرافياً بامتداد رقعة من يحمل لواء حضارتها، ولو مش مبين كثير اليوم، لكن الأرضة تكفي، ورقة فينيقيا اليوم هي مناطق الكثافة المسيحية والأقليات خارجها التي استمرت بعد الفتح، كل هذا ضمن لبنان فقط _ طرطوس)، فالأرزة إرث فينيقى اعتمده الفينيقيون أيضًا عندما تحولوا من الوثنية إلى المسيحية، ولم تعتددهم الدنيا الإسلامية - العربية، ومن هو مسلم ويقتصر بأرزة لبنان، فهوئيًّا لنا وله إنما هذا ناتج عن محاولة المسيحيين "البنّته" قتم غسل دماغه)، ولا يمكن اعتبارها بلداً واحداً ذات حدود ثابتة (صح، إذن الحدود اليوم هي من يشرى حتى المتن الشمالي وساحل بعيداً، أي إذا لا سمح الله حصل تقسيم بدل الفدرالية، ستكون عفويًا تلك المنطقة حدود الوطن "المسيحي"؛ وإذا حصلت فدرالية، فستكون عفويًا تلك المنطقة هي المحافظة "المسيحية").

ومن المتفافق عليه أن الكنعانيين في ساحلهم عانوا من ضيق المساحات الزراعية، على عكس الأشوريين والبابليين والمصريين. على أن غابات المشرق قدمت للكناعانيين أخشاباً مكتنهم من صهر المعادن وصناعة سفن ضخمة بسبب علو شجر الأرز والصنوبر لا جودته (**الأرز اللبناني هو الوحيدة البراهيمية التي تتحدر مباشرةً من حرفهم، نحو عام ٦٥٠ ق.م**) (أو ٢،٤ مرة أكثر من السنديان، أما الأصناف الـ٥ الباقية فهي "صلبة" فقط)، والمضاد للمياه، أما في العلو فهوئيًّا ٣ أصناف ترتفع ٥٠ متراً وهو واحد منها) مقارنة بسفن مصرية حجمها محدود بسبب قصر الأشجار في حوض النيل.

وأفاد الكنعانيون كذلك من هدوء البحر المتوسط، مقارنة بالمحيطات (هم أصلًا بعيدون عن المحيطات إنما وصلوا إلى الأطلسي والهندي) (ذهبوا أيضًا بـراً وبـحرًا من العقبة فالحجاز إلى اليمن والخليج وربما الهند (مناصرو الاحتلال الأخير يعتمدون على الإثبات أنهم أعطوا الأجدية البراهيمية التي تتحدر مباشرةً من حرفهم، نحو عام ٦٥٠ ق.م (أو ٤٠٠ ق.م. وفق البعض))، ومن أنه يندر أن تبحر السفن في نقاط لا يمكن رؤية البر منها. هكذا، أتقن الكنعانيون الإبحار، وتحولوا إلى وسطاء بين الحضارات، الأشورية والمصرية واليونانية وغيرها، وأقام كل من كياناتهم السياسية، التي لم تتوحد يوماً، ثلاثوغرافية، أي دولة تتتألف من مدن ساحلية مرتبطة ببعضها بأسطول (لم يكونوا حتى دولة واحدة، فكانت كل مملكة على حدا، حتى أنها كانت تصك كل واحدة عملتها؛ وهذا يعطي الحرية القصوى لأبناء هوية واحدة، فلا ضرورة أن يكون الحكم دائمًا مركزي؛ والفينيقيون عشاق للحرية، منذ أن كانوا وثنيين حتى باتوا مسيحيين. ملوكهم لم يكونوا دكتاتوريين لأنهم كانوا يخضعون لمجلس أعيان عكس ملوك المحيط المؤلهين. طبعًا من أصبح منهم روم كانت له ظروف قاهرة أجبرته بالذمية؛ أما الموارنة، فاستطاعوا الصمود في الجبال، مع أقلية رومية).

وبسبب تفاوتهم كوسطاء وتجار، لم يتوان الكنعانيون عن نقل واستخدام لغات الآخرين وثقافاتهم وعلومهم وتطويرها، فاختصروا هيروغليفية كان عثروا عليها في سيناء، وأنجوا منها أبجديتهم، التي أخذها عنهم اليونان مع علوم أخرى كثيرة، كالفالك والإبحار والفلسفة والرياضيات (صح، مش غلط ياخدوا شي ويطوروه، بس قصة انتقال الأجدية من الهيروغليفية أسقطها العلم: مثال على ذلك، إن الدابة والسيارة وسيلة نقل، لكن لم تتبثق السيارة من الدابة، وما وجد في سيناء ليس بهيروغليفية، واسمه بروتو - كنعانية).

وعلى الرغم من المنافسة بين اليونان والفينيقين، إلا أن اليونان أنفسهم عزوا الفضل في علومهم إلى الفينيقين، ففيثاغور كانت أمه فينيقية (أيوه فينيقية، أمه من ساموس، مدينة يونانية، بس مش مشكل، هوبيه كانت فينيقية أساساً)، (وقدموس (قدموس أسطورة، إنما زينون وماكوس وتاليس وبوقليد كلهم فينيقين، صحيح) وهو اللفظ اليوناني لقدمون، أي الشرق (١) أقام أول مستوطنة يونانية في الطيبة شمال أثينا، ثم نقل الرومان عن اليونان (ومن قرطاج)، واستخدمو هذه العلوم للقضاء على السطوة القرطاجية في المتوسط (صح).

على أن قوة تانيت (تونس) لم تتنلاش (حلوة، ما كنت عارف)، ومع بداية القرن الميلادي السابع ثارت قرطاجة على القسطنطينية، واجتاحت مصر، وأوققت التموين الغذائي المصري إلى بيزنطية، وخلعت بقوتها البحرية الإمبراطور فوقياس، واستبدله بابنها الإمبراطور هرقل المونوليسي المسيحي، الذي انحاز للشرق ضد روما، والذي شكل الفينيقيون (هنا إقرار إذن بوجود الفينيقيين حتى مجيء الإسلام) والتبطيون (اخقووا بعد ٤٠٠ ميلادي! آخر مخطوطاتهم عام ٣٩٦ واكتشفت في الحجاز) والتدمريون والبابليون قوته المقاتلة. (أوكى، معلومات إضافية حلوة، لكن كل هذا يبقى ضمن خلافات داخل الإمبراطورية البيزنطية.)

وبعد موت هرقل وخلفه، عادت بيزنطية إلى المسيحية الخلقيدونية في العام 685، فانفضّ الشرقيون عن القسطنطينية وروما وأقاموا كنائسهم (مغالتات لكن الموضوع بدأ شوية وقت خارج جوهر هذا المقال فلن أدخل في التفاصيل)، كلما رونية في إنطاكيه على يدي أول بطريرك ماروني يوحنا مارون (هو لم ينشق عن القسطنطينية فقهياً بل عن أنطاكيا الخلقيدونية التابعة للقسطنطينية سياسياً بسبب هروب البطريرك الأنطاكي الخلقيدونى الأصلي إلى القسطنطينية عام ٦٣٨ إثر الفتح الإسلامي وبقاء أخلاقه هناك، فانتخب بطريركاً من أساقفة جبل لبنان الأحرار من الفتح الإسلامي وبقي حامل لقب بطريرك أنطاكيا الخلقيدونى (أي نفس الفقه لكن الموضوع كان إدارياً)، ومنذ عام ٢٠٢ توقف تعين بطاركة أنطاكيين من المهاجرين إلى القسطنطينية، حتى عام ٧٤٢، وأقاموا دولتهم، كالعربية الأموية في دمشق والقدس (أووووف: "الشرقيون أقاموا دولة عربية"؟؟؟) الدولة الأموية كانت دولة إسلامية يرأسها خليفة النبي (دون الدخول في الخلافات الإسلامية)، ومن أقامها وصل إلى المشرق بفتحات، والقدس "فتحها" عمر بن الخطاب؛ هم ليسوا "شرقيين"؛ ما هو عربي في الدولة تلك لا يعود سوى لغتها الرسمية وبضعة أمور ثانوية، أما تفاقتها فكانت دنيا الإسلام؛ الوحيد الصح في هذا المقطع هو إقامة يوحنا مارون دولة مسيحية سماها "البنانية" في جبل لبنان مستقلة غير ذمية ولا تدفع الجزية، محاصرة من قبل الأمويين ومن خلفهم، ولم يعطه التاريخ حقه بعد، وبقيت قرطاجة الفينيقية عربية (ما في "فينيقية عربية"، انتهت فينيقيتها لدى الفتح الروماني تدريجياً بين ١٤٦ ق.م. وـ ٤٥ م. بذواب كناعانيها بالأمازاغ، وأصلاً كلمة "عروبة" غير موجودة في القواميس العربية الفلسفية (راجع كمال جنبلاط، في محاضرته عام ١٩٥٦؛ كل شيء كان "إسلام" حتى ١٨٨٠، حتى بزوع ما اصطلاح على تسميته "النهضة العربية") مستقلة ذاتياً، حتى ما بعد زمن الخليفة العباسي المأمون، منتصف القرن التاسع.

وكانت تونس ثورتها، فأطلقت الحركة المهدوية الاسماعيلية الفاطمية في القرن العاشر، وسيطرت - بقوتها البحرية كذلك - على شمال أفريقيا والمشرق (هذا شأن إسلامي داخلي لا علاقة له بالكنعانيين). ومع ظهور القوة البحرية الأميركية في القرن العشرين، لعبت تونس دوراً في كبح القرصنة الجزائرية واللوبية، فقامت صدقة تونسية أميركية وثيقة، حتى جاء زمن الخزعبلات القومية العربية الناصرية. (أكرر، لا علاقة لتونس بعد اكتساح الفتح الإسلامي، بالكنعانيين).

لم يخل الفينيقيون مسرح المشرق وشمال أفريقيا يوماً (نكر، أخوه في تونس وباقٍ حوض المتوسط بعد الاحتلال الروماني وفي طرطوس ومعظم لبنان بعد الاحتلال الإسلامي)، فتحثثوا بلسان زمانهم، الفينيقي والأرامي، فالإغريقي واللاتيني، فالعربي واللغات الغربية كالفرنسية وإنكليزية (كم نكر، ما زالوا يتكلمون في لبنان لغتهم الكنعانية التي أخذت مفردات من كل تلك اللغات، بعد أن أعطت لمعظمها مفردات من عندها سابقًا حين كانت مؤثرة، لكن قواعد اللغة المحكية غالبية معايير تحديد اللغة ما زالت كنعانية بامتياز خاصة لدى المسيحيين. مفارقة: المسلمين يضعون مثلاً همة في فعل الأمر المحكى لمنع التقاء ساكتين، الذي هو قاعدة عربية أدخلوها رغم تكلمهم الكنعانية أيضًا اليوم (اللهجات اللبنانيّة والسوّرية والفلسطينيّة هي كنعانية - موضوع كبير خارج الردود هنا)، والتقاء الساكتين هو في صلب القواعد الكنعانية النموذجية أي ال Standard Variety، كما ال ۵ وال ۶ أحرف علة كنعانية غير موجودة في العربية (أمثلة على سبيل المثال لا الحصر)). الفينيقيون ساهموا في صناعة التاريخ، بما في ذلك صناعة عروبة الأميين وإسلام الفاطميين (أبداً، ليش تا يطلعن شي مش عاملينو، كيف؟ عدا انباث اللغة العربية من الفينيقية القديمة وتأثير الفينيقية على العربية بعد نشأتها؛ أوكي فالفينيقية صنعت شيء مهم من اللغة العربية وصقلتها). هم أثروا بحضارة الآخرين، والآخرون أثروا بحضارتهم، التي تتخذ أشكالاً متعددة اليوم - عربية، مشرقية (إذا المشرقيين عملتو هن عرب، مين مشرقي لكان؟!) وشمال أفريقيّة، وإسبانية ومالطية (وجود جينات لا يعني وجود

هوية)، وغيرها - حول حوض المتوسط وفي جزره (لم يبق خارج لبنان (سوى جاليات الاغتراب) أية آثار لشيء من الفينيقية (أي الكنعانية لنعود للمصطلح العلمي)؛ وهي في لبنان ما زالت كنعانية مؤمنة بالأرزة لدى المسيحيين؛ فالكنعاني الذي أسلم نكرر أنه خرج من فلك حضارته ودخل فلك الثقافة الإسلامية (أي الدنيا، عدا الدين) - العربية (ومساعدة العربية خجولة جدًا إذا استثنينا اللغة وبعض العادات في الثنائي).

ربما لم يورث الفينيقيون اللبنانيين معالم إمبراطورية واضحة (نوعاً ما "نعم"، وهي كانت تمتد من أرواد حتى صور منذ ١١٩٠ ق.م. حتى ٦٣٤ م. حين وصل الفتح الإسلامي فغير الثقافة برمتها، ما لم يفعله المحتلون السابقون)، ولكنهم أورثوهم عادات التألف في أي محيط (صح)، وتبني أي لغة (صح) (والإبداع)، دون انتقاد من المسلمين إنما بصرامة وللأمانة نلاحظ أن تلك هي سمات عائدة بشكلٍ بارزٍ للبنانيين المسيحيين (وقلة من المسلمين اللبنانيين، ونقول علمياً، مكعنين)، وهو أيضًا الأثرية السالحة من المتحرين اللبنانيين في بلاد الاغتراب؛ والأقلية المسلمة في هذا المجال هي بفعل احتكاكهم بالمسيحيين منذ تأسيس الجمهورية اللبنانية؛ فكل إنسان قادر على الإبداع، إنما دنيا الإسلام هي، كالكثير من ثقافات شعوب العالم، لا تسمح بهذه السمات بسهولة)، وهي العادات نفسها التي أدت لأندثار الفينيقية القديمة (صح اندررت القديمة لكن حل مكانها أخرى حديثة، هويتها تتبلور في الوجдан وليس قانونيًا وشرعاً أفله حتى اليوم، بسبب حاجة صمودها ضد المحيط وأخذها أشكالاً أخرى (دينية مثلاً بفعل ضرورة مواجهة دين آخر، فبات يقال "مسيحي" بوجه "المسلم"، فالمسلمون لم يأتوا كعرب إنما كمسلمين). إنما خير برهان وجودها في الوجدان البيئة "المسيحي" هو الانقضاضة المسيحية التي فاجأت المسلمين العروبيين عام ١٩٧٥؛ فمن انتفاض من مسيحي لم ينتفاض بسبب معتقد ديني فحسب إنما بسبب نفس ثقافي - حضاري) وحلول لغة الزمان السادس مكانها (كما قلنا، اللغة هي هي بكنعانيتها إنما تطورت وليس عربية)، وهي العادات نفسها التي أدت إلى تشكيل لبنان كدولة غنية بتتنوع تراثها (ليست العادات نفسها تلك سوى الانفتاح الماروني على المحيط مدًّا أمنًّا امتيازات تضمن حريته من الذمية وكان هذا عام ١٣٨٢؛ أضف الأسباب الأخرى كالحاجة إلى البقاء والساحل؛ أما قبل ذلك فتحصن الموارنة ٧٠٠ عام دون احتكاك مع المحيط؛ ولو لا مطالبة الموارنة بـلبنان التاريخي وهو اليوم حدود الجمهورية، لما كان هناك تنوع، وأساساً المسلمين لم يريدوا لبنان الكبير ولا التنوع بل الوحدة مع سوريا، صراحة، وهذا ليس محظ ملامة أو عيب)، الذي تواتت حضارات التاريخ على التأثير فيه حتى صار على حاله (كل الحضارات والثقافات ما قبل الإسلام أثرت على لبنان بكنعانيه كما أثروا هم بشكلٍ جزئي بهم؛ وعندما انقسم لبنان منذ الفتح الإسلامي، عنى الإسلام المسلمين عندما وجدوا في لبنان وسواء، وعنى الغرب ما بعد مجبي الإسلام (فترة الصليبيين، ومنذ فخر الدين وخاصةً منذ ١٨٦٠ وحتى اليوم) الكنعانيين الذين صمدوا في لبنان. هذا بشكلٍ عام. إذن لبنان ليس وحدة اجتماعية لتأثير الحضارات عليه بشكلٍ عمومي بل هو بقعة جغرافية، والحضارات تؤثر على مكوناته، وهي متمايزة عن بعضها. و"اللبناني" اليوم هو ليس مصطلح "هوبياتي" موحد بل مصطلح قانوني لمن يحمل الجنسية لدولة تمتد على الرقعة تلك. ولن ندخل الآن في معنى "اللبناني" تاريخياً إنما نكتفي بقول إنه المصطلح الذي تبناه يوحنا مارون للموارنة الذي تحصنوا في جبال لبنان مقابل الفتح الإسلامي، وكانت كنيسته اسمها "كنيسة لبنان الحرة"، حيث استخدم المصطلح الجغرافي بدل الاجتماعي (أي لم يسمها "الكنعانية أو الفينيقية")).

أما انتزاع جزء من التاريخ، وتحويله إلى هوية فينيقية حصرية لمنطقة العصبيات الأخرى، فبرنامج سياسي، وضرب من القبيلة، والاثنان إن دخلا على التاريخ، أفسداه، وأفسدهما (الم تقم العروبة بهذا؟ فباتت العامية من اللغة العربية، والخبز اللبناني عربي، والمازة أكل عربي، وكل من لا يدغدغ وجданه ما هو بعربيٍّ فيعتبر خائن... وتوقفت الأبحاث في التاريخ الفينيقي في الستينيات، وكل ما له صلة بهم مطموس ولا يذكره كتاب التاريخ في المدرسة سوى ببعضه سطور. نعم، نرفض تحويل الموضوع لفرض على من لا يعنيه، أي خارج المناطق "المسيحية" اللبنانية؛ إنما أن يدخل الموضوع ضمن برنامج سياسي ليفسر الهوية الدينية للمسيحيين (حيث الدين المسيحي عكس الإسلام ليس له دنيا) وبيني على أساسها التعددية يد بيد مع الإسلام - العروبة (تلك الثقافة العربية التي أحققت بدنيا الإسلام)، من أجل ضمان حقوق الجميع بعيش هوياتهم بحرية مطلقة لا تقيدها أي شريعة، فهذا حق من الله-نا (وليس الله المسلمين وفق الآيات القرآنية الناسخة) الذي خلقنا أحراراً وتعدّيين.